هل يستعمل القرآن الكريم كلمة "الملائكة" استعمالًا لاتينيًا؟

رضا زيدان

ملخص البحث:

ثمّة غموض محيّر يحيط بالجذر اللغوي لكلمة "المَلَك" قديمًا وحديثًا، عربيًا وغربيًا، ففي معاجمنا القديمة اختلف كبار علماء العربية في جذر الكلمة، حتى أن النضر بن شميل يقول إن هذا "ممّا فات علمه"، والمشهور أنها بمعنى رسول، سواء من الأصل "ألك" أو "لأك"، كلاهما بمعنى أرسل، وهناك رأي آخر ذُكر على استحياء بلا دعم يقول إن "المَلَك" من المُلْك، لكن هناك إشكالات دلالية أو صرفية على كلا الرأيين. لذلك أُعيد الخلاف نفسه على يد المعاصرين العرب لكن بإدخال بُعدٍ آخر في البحث وهو بحث الجذر في اللغات السامية. أما البحث الغربي فقد حاول معظم المستشرقين البحث عن أصل غير عربي للكلمة، سواء كان عبريًا أو حبشيًا أو غير ذلك، خلافًا لمقالة صغيرة لبونسكي Paulo Boneschi تنتهي بإيجاز شديد إلى عربية الكلمة، إلا أن أهم إسهام حديث في هذا الموضوع هو ورقة لبيرج S.R. Burge في عام 2008 عن معنى كلمة "الملائكة"، حيث تجاوز المؤلف مسألة الجذر اللغوي ودلّل على ملاحظة ملفتة للنظر، وهي أن استخدام القرآن والنصوص العربية الكلاسيكية لكلمة الملائكة أقرب للاستخدام اللاتيني من الاستخدام السامي!، فوفقا للاستخدام اللاتيني لا تكون الرسالة من المعاني الأساسية للكلمة.

يقدّم هذا البحث ردًا على ورقة "بيرج"، من خلال إظهار أن لكلمة الملائكة جذر عربي مركّب، وذلك في ضوء ثلاث لغات سامية: الأوغاريتية، والعبرية، والأكادية، لكن قبل ذلك نعرض إشكالات الجذرين المقترحين من القدماء.

وهدف البحث هو إثبات أن الجذر الذي نقترحه يحلّ الإشكالات القديمة، ويدفع النتيجة الغريبة التي انتهى إليها "بيرج". أما من الناحية التطبيقية، ففي ضوء نتيجة البحث نتناول المسألة الشهيرة: "هل إبليس كان من الملائكة؟" بشكل مختلف، ونقترح ترجمة لكلمة "ملكين" في قوله تعالى "إلا أن تكونا ملكين" [الأعراف: 20] غير الترجمة المعتمدة.

مقدمة

إن الإيمان بالملائكة أصلٌ قطعي في الدين الإسلامي، ومن العلم الذي استقر عند آحاد المسلمين أن الملائكة خلقها الله من نور، ولا توصف بذكورة ولا أنوثة، ولا تأكل ولا تشرب، ولا تعصي الله أبدًا، وغير ذلك مما يتعلق بطبيعتها، أما من حيث الوظيفة فقد استقر أيضًا أن المَلَك هو المبلغ عن الله رسالته إلى بعض عباده وهو الموكّل بتنفيذ مهام كونية معينة. لكن ماذا عن تصور المشركين للملائكة؟ وكيف استخدم القرآن كلمة "الملائكة" لمعالجة هذا التصور؟ إن هذين السؤالين لا يمكن فصلهما عن سؤال لغوي محض: ما هو أصل كلمة "مَلَك"؟ وهنا نجد مفارقة، فوفقا للرأي السائد في معاجم اللغة العربية فإن كلمة مَلَك معناها رسول، باعتبار أن الملائكة رسل الله إلى عباده، لكن هل هذا معقول مع قوم يعتقدون أن الملائكة بنات الله؟ ثم لنفترض أن جذر الكلمة القديم هو "ألك" بمعنى أرسل؛ ألن يؤدي شرك المشركين إلى تحريف في هذا الأصل الرسالي؟ إن المنطقي أن ينظر المشركون للملائكة باعتبارها "مدبرات للأمور" أو ملوك سماوية (سواء باستقلال عن الله أو لا)، وهذا يغرينا إلى القول إن الملائكة أصلها المُلك وليس الرسالة، وبالفعل قال بذلك بعض علماء اللغة، لكن يؤدي ذلك إلى إشكال صرفي كبير كما سيأتي. هذا على مستوى البحث العربي، فإن نظرنا إلى البحث الاستشراقي نجد أن معظم المستشرقين يعتبرون كلمة "الملائكة" غير عربية، فيبحثون عن أصل سامي آخر، ومع ذلك فهم ينتهون إلى الجذر الرسالي كما انتهى معظم علماء اللغة القدماء، أي أن البحث الغربي لم يأت بجديد على مستوى المعنى. لكن ظهرت ورقة علمية حديثة (2008) لأحد الباحثين الغربيين يذهب فيها إلى أن القرآن (وبالتالي المخاطبين) يستخدم كلمة "الملائكة" بطريقة تخالف كل اللغات السامية التي نجد فيها هذه الكلمة، أو بعبارة أخرى يستخدم القرآن الكلمة بطريقة لاتينية!

يعالج بحثنا كلمة "الملائكة" على المستوى الصرفي (جذر الكلمة) والمستوى الدلالي (الاستخدام العربي قبل القرآن واستخدام القرآن)، والجذر المركّب الذي نقدمه في هذا البحث سيجيب عن الاقتراح "اللاتيني" وإشكالات الجذريْن المقترحيْن من علماء اللغة القدامى والمعاصرين. ولنبدأ أولا بالخلاف العربي.

1- خلاف علماء اللغة العربية القدماء في جذر"الملائكة"

أصل كلمة "الملائكة" عند معظم علماء اللغة يدور حول الرسالة، إذ أن "الملائكة سميت (ملائكة) لتبليغها رسائل الله عز وجل إلى أنبيائه صلوات الله عليهم. أُخِذوا من (الألوك)، وهي الرسالة...ويقال لها

أيضاً: مألَكَة، ومألُكَة"[1]، ومفرد الملائكة: ملأك، والدليل الوحيد الذي ذكره سيبيويه ومستشهد به في كتاب "العين" المنسوب للخليل هو البيت التالي:

فلست لإنسي ولكن لِمَلأَكٍ ... تبارك من فوق السماوات مرسله[2]

ثم ينقسم هؤلاء العلماء إلى فريقين (وسأكتفي بمثال أو اثنين لكل فريق):

- الأول: يرى أن أصل كلمة الملائكة هو "ألك"، ومن ثم فإن الانتقال الصرفي يكون كالآتي: ألك> مألك> ملأك (تقديم اللام وتأخير الهمزة)> مَلَك> ملائك. وبهذا صرح الكسائي[3]، وظاهر موقف سيبيويه "فتمثيله يوحي بأنه.. يعد ملأك مقلوبًا عن مألك، فقد قدم مألكة على ملألكة"[4]، وأكثر أصحاب المعاجم على هذا الرأي.

- الثاني: يرى أن الجذر "لأك"، ومن ثم: لأك> ملأك (بالهمز)> مَلَك> ملائك. وممن قال بذلك ابن جني، إذ يقول إن كلمة مَلَك "على التحقيق مفل، وأصله ملأك، فألزمت همزته التخفيف، فصار ملكًا. واللام فيه فاء، والهمزة عين، والكاف لام، هذا أصل تركيبه وهو (ل أ ك)"[5].

وفي الحالتين، خففت الْهمزة بأن أُلقيت حركتها على الساكن الَّذِي قبلها، وعادة ما يُعلَّل التخفيف بكثرة الاستعمال، وتُرَد الهمزة في صيغة الجمع. لاحظ أيضا أن الميم في "مَلَك" ليست من بنية الكلمة على الرأيين.

من الواضح أن قول الفريق الثاني، أقوى "نظريًا"، لعدم وجود قلب بين حرفين، لكن اختار أشهر علماء اللغة "ألك" لأن الفعل "لأك" غير موجود تقريبًا في شواهد اللغة، و"الشواهد الشعرية المروية تتضمن ثلاثة أسماء هي الألوك، المألكة، والمألُك، ومن الواضح أنها كلها من مادة (ألك)"[6]. وهذه الشواهد هي:

- وغلام أرسلته أمه ... بألوك فبذلنا ما سأل

---

[1] أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، مؤسسة الرسالة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، ص255/2

[2] اختُلف في نسبة هذا البيت، فينسبه بعضهم لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك، وقيل لأبي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير، وقال الشيخ محمود شاكر في تعليقه على تفسير الطبري: "ينسب هذا البيت لعلقمة بن عبدة، وليس له، ولا هو في ديوانه" (تفسير الطبري: 333/1).

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة،496/10

[4] فوزي الشايب، خواطر وآراء صرفية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية، ع47، السنة الثامنة عشر، 1994، ص33.

[5] ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، 277/3

[6] إبراهيم أنيس، ملك ملاك ملائكة، مجلة مجمع اللغة العربية، ج31، مارس 1973م.

- أبلغ أبا دختنوس مألكةً ... غير الذي قد يقال مِلكذب

- أبلغ النعمان عني ملأكا ... إنه قد طال حبسي وانتظاري

فكان من المنطقي أن يتجه معظم علماء اللغة إلى الجذر "ألك" نظرا لهذه المادة اللغوية (حتى وإن كانت قليلة فهي بالنسبة لـ "لأك" كثيرة). ومع ذلك يبدو أن الجزم بين "ألك" و"لأك" لم يكن أمرًا ذا بال عند كثير من العلماء، فمثلا يبدو أن الطبري لا يرى في هذا الخلاف بين الأصلين "ألك" و"لأك" فائدة، إذ يقول بعد أن يروي بيت "أبلغ النعمان عني ملأكًا" السابق: "وقد ينشد: مألكًا، على اللغة الأخرى. فمن قال: ملأكًا فهو مفعل، من لأك إليه يلأك إذا أرسل إليه رسالة ملأكة؛ ومن قال: مألكا فهو مفعل من ألكت إليه آلك: إذا أرسلت إليه مألكة وألوكا"[7]. وهو وإن كان يقرّ أنه من ناحية السماع لم يسمع الجمع "مآلك" لـ "مألك"[8]، وهذا يضعف الرأي القائل بالجذر "ألك"، إلا أن شيوع وسهولة القلب في هذه الحالة يمنع – في نظر الإمام - من الوصول إلى الجذر الأصلي.

في مقابل ذلك يذكر العلماء رأيا لابن كيسان مفاده أن المَلَك "من المُلك؛ لأن المَلَك يملك من الأمور ما لا يملكه الإنسان"[9]. ومن ثم يكون المَلَك مشتق من ملك يملك، والميم أصلية، وتكون الهمزة في ملأك زائدة كما في شمأل. وردّ ذلك الرضي الإستراباذي لأنه "اشتقاق بعيد وفعأل قليل لا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق [أي كما في شمأل]"[10]. ونسب أبو حيان القول بأصلية المُلْك إلى أبي عبيدة، إذ يقول: "الملك: ميمه أصلية وهو فعل من المُلك، وهو القوة، ولا حذف فيه، وجمع على فعائلة شذوذًا، قاله أبو عبيدة"[11]. ومن الواضح أن هذا الرأي ضعيف من الناحية الصرفية.

وهناك رأي جدير بالذكر نقله الراغب الأصفهاني عن "بعض المحقّقين"[12]، مفاده أن المَلَك "من المِلك، قال: والمتولّي من الملائكة شيئًا من السّياسات يقال له: ملك بالفتح، ومن البشر يقال له: ملك بالكسر، فكلّ مَلَكٍ ملائكة وليس كلّ ملائكة ملكًا، بل الملك هو المشار إليه بقوله: فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً [النازعات: 5] ، فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً [الذاريات: 4] ، وَالنَّازِعاتِ [النازعات: 1] ونحو ذلك"[13]. لكن هذا الرأي لا يبين لنا معنى

---

[7] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 446/1

[8] المرجع السابق، 445/1

[9] الرضي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية بيروت، 1975م، 2/ 347

[10] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[11] أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر بيروت، 1420هـ، 222/1

[12] لم أقف على من قال بهذا القول.

[13] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم-الشامية، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، مادة "مَلِك".

لفظ "الملائكة" في العبارة (والمتولّي من الملائكة شيئًا من السّياسات يقال له: ملك بالفتح)، أي لماذا المَلَك الذي لا يمتلك شيئًا من السياسات يُنسَب إلى الملائكة إذا كان أصل الملائكة هو المُلك؟ كما أن هذا القول لا يحلّ الإشكال الصرفي في صيغة الجمع.

2- الخلاف بين المعاصرين وبداية الاهتمام باللغات السامية

لم يخرج بحث علماء اللغة المحدثين عن الأصلين المذكورين، وإن كان د. إبراهيم أنيس قد قدّم مقالًا بارزًا يرجح "لأك" على "ألك" بعنوان (ملك ملاك ملائكة)، ومقالًا مهمًا آخر في معنى كلمة "ألكني". لكن ما يتعلق ببحثنا أكثر هو المقال الأول، إذ يرى أنيس أن كلمة "ألك" هي المقلوب، "وأنها حديثة النشأة بين جذور لغتنا العربية وإن كانت قد اشتهرت بعد ذلك وشاعت في كلام العرب حتى اشتقت منها تلك الكلمات الثلاث (الألوك)، المألكة، والمألك، التي في الشواهد السابقة، فقد يحدث في ظاهرة القلب المكاني أن المادة الفرعية تسود وتطغى على المادة الاصلية وكثيرًا ما يكون الجديد المستحدث محبوبًا مأنوسًا"[14]. واستدل على ذلك بنظائر الكلمة في اللغات السامية، وهو أهم ما في المقال من وجهة نظري، إذ يقول: "حين نبحث عن نظائر للمادة فيما نعرف من نصوص اللغات السامية نرى أن المادة (ألك) لا نظير لها في الساميات، وإنما التي لها نظير في هذه اللغات هي المادة (لأك) التي لا يزال فعلها الثلاثي يستعمل في اللغة الحبشية بمعنى أرسل رسالة أو رسولاً. وكلمة رسول في العبرية. وفي السريانية. وفي الحبشية ملأك" ويدعم ذلك بأن معاجم المستشرقين مثل معجم جزينيوس gesenius لكلمات العهد القديم، ومعجم جاسترو jastrow لكلمات التلمود تقول إن الكلمة العبرية التي معناها رسول مادتها (لأك) لا غير. ومن ثم فإن "صورة هذه الكلمة في اللغات الثلاث العبرية والسريانية والحبشية تماثل تمام المماثلة الصور العربية (مَلأك) التي وردت في الشواهد السالفة الذكر"[15]. وقد رسّخ هذا المقال الجذر "الرسالي" إلى حد كبير، من حيث أن من غير المعقول أن تخالف اللغة العربية أخواتها من اللغات السامية. لكن هل حُسم الأمر؟ لا، على الإطلاق.

فقد ذهب د. عبد الفتاح الحموز أن ميم "مَلَك" أصلية، يقول: "الظاهر في هذه اللفظة ان تكون من (ملك) على أن الميم أصلية، فلا حذف فيه وقلب ولعل ما يعزز ذلك أن مادة (ملك) أصل قديم في اللغات السامية. ولعل ما يعزز ذلك أن (ملأكة) لم ترد الا في قول الشاعر الشاذ فلست لإنسي ولكن

[14] إبراهيم أنيس، ملك ملاك ملائكة.

[15] المرجع السابق.

لملألكِ..."[16]. وما يشير إليه الحموز هو صعوبة يكون سندنا الوحيد هو هذا البيت. وقد أشار إلى هذه الصعوبة أيضا بونسكي Paulo Boneschi في تأصيله الموجز لعربية الكلمة، لكنه يكتفي بوجود الجذر "ألك" في النصوص الشعرية[17].

ليس هذا فقط، سأقدم أيضًا في الفقرة التالية دليلين نصيين لصالح الجذر "ملك يملك" لم يوردها القائلون بهذا الرأي. ثم في الفقرة اللاحقة سأعرض مقالة "بيرج" عن الاستخدام القرآني لكلمة "الملائكة" الذي يخالف الجذر السامي.

3- دليلان نصيان مقترحان لـ "ملك يملك"

سأكتفي فقط بدليل من القرآن وبدليل من الشعر الجاهلي يشيران بقوة إلى أن كلمة "الملائكة" من المُلْك:

الدليل القرآني: يقول الله تعالى: (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملَكَين أو تكونا من الخالدين) [الأعراف: 20]. ويقول: (فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) [طه: 120]، ومن الواضح هنا أن الشيطان لا يعد آدم بأن يكون رسولًا ولا كائنًا سماويًا لا يأكل ولا يشرب، وإنما يعده بالمُلك كما توضح الآية الثانية. وقد قرأ التابعي يحيى بن أبي كثير (ت 129هـ) الآية بالكسر، أي (إلا أن تكونا مَلِكين)، ورُويت هذه القراءة أيضًا عن ابن عباس، ويعلق الطبري على هذه القراءة فيقول: "وكأن ابن عباس ويحيى وجّها تأويل الكلام إلى أن الشيطان قال لهما: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا **ملكين من الملوك**، وأنهما تأولا في ذلك قول الله في موضع آخر: (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)"[18].

الدليل الشعري: يذكر ابن سيده البيت التالي على سبيل التخطئة:

غَدا مالِكٌ يَبْغِي نسَائِي كأنّما ... نسَائِي لسَهْمَيْ مالكٍ غرضانِ

---

[16] عبد الفتاح الحموز، ظاهرة القلب المكاني في العربية؛ عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، نشر جامعة مؤتة، دائرة العلوم الإنسانية، 1981م، ص38

[17] Paul Boneschi, 'Is malak an Arabic word?', Journal of the American Oriental Society 65 (1945), pp. 107–11, p. 111.

[18] الطبري، التفسير 349/12

ويعلق ابن سيده فيقول: "ظنّ [الشاعر] مَلَك الْمَوْت من " م ل ك " فصاغ مَالِكًا من ذَلِك، وَهُوَ غلط مِنْهُ. وَقد غلط بذلك فِي غير مَوضِع من شعره"[19]، وفي موضع آخر يقول: "وهذا عندي خطأ، وقد يجوز أن يكون من جفاء الأعراب وجهلهم [!]، لأن ملك الموت مخفف عن ملأك"[20]. ومن قبل يقول ابن جني صراحة في "باب أغلاط العرب" عن هذا البيت: "هذا رجل مات نساؤه شيئًا فشيئًا فتظلم من ملك الموت عليه السلام. وحقيقة لفظه غلط وفساد. وذلك أن هذا الأعرابي لما سمعهم يقولون: ملك الموت، وكثر ذلك في الكلام، سبق إليه أن هذه اللفظة مركبة من ظاهر لفظها؛ فصارت عنده كأنها فعل؛ لأن ملكًا في اللفظ على صورة فلك فبني منها فاعلًا، فقال: مالك موت، وغدا مالك. فصار في ظاهر لفظه كأنه فاعل، وإنما مالك هنا على الحقيقة والتحصيل مافل، كما أن ملكًا على التحقيق مفل، وأصله ملأك، فألزمت همزته التخفيف، فصار ملكًا. واللام فيه فاء، والهمزة عين، والكاف لام، هذا أصل تركيبه وهو (ل أ ك) وعليه تصرفه"[21].

وكما هو واضح من الممكن بسهولة أن نفهم الملائكية هنا على أنها المُلْك، وأن المَلَك والمالِك بمعنى واحد، لأن ملك الموت يستبد بسلطة معينة، وهي قبض الروح. لكن لأن ابن سيده قد استقر عنده وعند من سبقه من كبار اللغويين أن أصل "الملائكة" هو الرسالة رفض بإطلاق هذا "التحريف" الأعرابي.

والغرض من إيراد رأي الحموز ودعمه بهذين الدليلين ليس الحسم، وإنما إظهار قوة هذا الرأي من ناحية **دلالية**، لكن مشكلة هذا الرأي الدائمة **صرفية، لأنه يعجز عن تفسير ظهور الهمزة في الجمع (الملائكة) تفسيرًا مقنعًا.** وحاصل القول إنه قد ذهب القدماء والمحدثين من علماء اللغة إلى أصلين مقترحين، **الرسالة**، سواء كانت من "ألك" أو "لأك"، و**المُلك**.

4- الملائكة كاسم جنس عند بيرج S.R. Burge (الاستخدام اللاتيني في القرآن)

زاد الأمر تعقيدًا مقال بعنوان "الملائكة في سورة "الملائكة: تفسير الآية الأولى من سورة فاطر The Angels in Surat al-Mala'ika Exegeses of Q. 35:1" لستيفن بيرج. حيث يبدأ المقال بعرض اختلاف التراث الإسلامي في أصل الكلمة، والمحاولات الغربية لرد الكلمة إلى أصل عبري، أو آرامي، أو حبشي، وهذا الأخير يُعتبر عادة المصدر الأرجح للكلمة العربية مَلَك، على أساس التشابه بين جمع التكسير

[19] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 2000، 90/7

[20] المرجع السابق 58/7

[21] ابن جني، الخصائص 277/3

"ملائكة" وجمع التكسير الحبشي. ويسجل المؤلف أن في معظم اللغات السامية المَلَك يشمل الرسول البشري والإلهي. وأن "المَلَك" قد تُرجم في الترجمة السبعينية للعهد القديم بالكلمة اليونانية angelos، التي تستخدم للرسول الإلهي والبشري (كاللغات السامية). أما اللاتينية فتُحدث فصلًا بين الرسول الإلهي والرسول البشري، حيث تستخدم angelus للرسول الإلهي وnuntius للرسول البشري[22]. ثم يلقي "بيرج" بالملاحظة الغريبة: الاستعمال العربي الكلاسيكي والقرآني لكلمة "ملك" أقرب بكثير إلى الاستعمال اليوناني لكلمة angelus من الاستعمال العبري، والحبشي، واليوناني لنظائر الكلمة في هذه اللغات. بمعنى أن القرآن (والأحاديث) – كما يقول بيرج - يستعمل كلمة الملائكة بمعنى الرسل الإلهيين أو السماويين **فقط**، وليس الرسل البشريين (أو ببساطة: الرُسُل). بمعنى آخر: **الملائكة في القرآن اسم جنس لا اسم وظيفي**. وهذا "يشير إلى أن هناك انقطاعًا عن الدلالة السامية لكلمة مَلَك التي تعني الرسول البشري والإلهي معًا"[23]. وفي نظره أنه **حتى إن كانت الكلمة عربية الأصل فإن هذا لا يعني بالضرورة أن للكلمة نفس دلالة نظائرها في اللغات السامية الأخرى**. ويستشهد المؤلف بالآية الأولى من سورة فاطر، يقول الله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، لإثبات ما ذهب إليه، ويعلق بقوله "هنا يبدو القرآن يشرح معنى المصطلح مَلَك، مما يشير إلى أن مفهوم "الرسالة" لم يكن مفهومًا بالضرورة من قِبل الذين يخاطبهم القرآن على أنه الصيغة الاسمية للجذر (لأك أو ألك)"[24]. وفي الواقع ما لاحظه بيرج عن الاستعمال القرآني لكلمة الملائكة قد لاحظه صاحب "التفسير الكبير" فخر الدين الرازي، إذ يقول في نص نقدي لدلالة الكلمة وأصلها الرسالي المقترح من اللغويين القدماء: " وأما ما قاله بعض أهل اللغة من أن الملائكة جمع ملأك، وأصل ملأك مألك من الألوكة وهي الرسالة ففيه تعسفات أكثر مما ذكرنا بكثير، منها أن الملك لا يكون فعل بل هو مفعل وهو خلاف الظاهر، ولم لم يستعمل مآلك على أصله كمآرب ومآثم ومآكل وغيرها مما لا يعد إلا بتعسف؟ ومنها أن ملكا لم جعل ملأك ولم يفعل ذلك بأخواته التي ذكرناها؟ ومنها أن التاء لم ألحقت بجمعه ولم لم يقل ملائك كما في جمع كل مفعل؟ والذي يرد قولهم قوله تعالى: جاعل الملائكة رسلًا [فاطر: 1] فهي غير الرسل فلا يصح

[22] S.R. Burge, The Angels in Sūrat al-Malāʾika: Exegeses of Q. 35:1 , Journal of Qur'anic Studies, 10/1 (2008), pp. 50–70, p. 52

[23] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[24] المرجع السابق، ص53

أن يقال جعلت الملائكة رسلًا كما لا يصح جعلت الرسل مرسلين وجعل المقترب قريبًا، لأن الجعل لا بد فيه من تغيير"[25].

لكن لم يستطع الرازي حلّ هذا الإشكال، لكنه أول من أشار إلى هذا الإشكال في تراثنا حسب علمي.

5- الجذر المركّب لكلمة "المَلَك"

نخلص مما سبق إلى أننا أمام ثلاث خيارات:

(1) - الاعتماد على اللغات السامية الأخرى التي فيها الجذر "لأك"، وهذا يرجح للغاية أن يكون معنى "الملائكة" هو الرسل (اسم وظيفي لأنه يشمل الرسول البشري والسماوي). وهذا القول قوي **صرفيًا** لكنه **يعاني دلاليًا** بسبب ندرة النصوص الشاهدة. **فهو على الأقل بحاجة لتفسير هذه الندرة**.

(2) - الاعتماد على الأدلة النصية التي أوردتها لصالح الجذر "ملك يملك"، وبالتالي يكون معنى الملائكة هو المُلّاك (اسم وظيفي لأنه يشمل المِلك الأرضي والسماوي). وهذا القول قوي **دلاليًا** وضعيف **صرفيًا**. **ويتقوى بشدة إن أجاب عن وجود الهمزة في صيغة الجمع**.

(3) - التعامل مع الملائكة كـ(اسم جنس) محدد كما يذهب بيرج، بصرف النظر عن الجذر اللغوي، لأن الاستخدام العربي والاستخدام القرآني مختلفان عن أي جذر سامي مقترح.

إن حل هذه المعضلة يكمن في البحث الدقيق للجذر "لأك" في اللغات السامية التي تشهد نصوصها الباقية بوجود هذا الجذر، مثل اللغة الأوغاريتية والحبشية وكذلك اللغات السامية الجنوبية، كلهم بمعنى "أرسل"[26]، أو لا يوجد فيها هذا الجذر لكن يجمع علماؤها على أن الجذر بمعنى أرسل: اللغة العبرية. إننا نجد في بعض اللغات ظاهرة ثابتة وهي أن **الأسماء المشتقة من الفعل "لأك" يحدث لها توسع دلالي**، فبعد أن كان الفعل بسيطًا دلاليًا نجد في الصورة الاسمية له دلالة جديدة، فمثلًا في اللغة الأوغاريتية نجد أنه بدلًا من (أرسل> رسالة message) فقط نجد أيضًا (أرسل> مهمة mission

[25] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة، 259/28

[26] Freedman-Willoughby and Fabry, art. 'mal'ak' in The Theological Dictionary of the Old Testament (12 vols. Cambridge: William B. Eerdmanns Publishing Company, 1997), vol. 8, pp. 325.

أو تكليف commission)[27]. أو بعبارة أخرى، **الملائكة كإسم أوسع دلاليًا نسبيًا من الجذر لأك رغم أنها مشتقة منه!**

يتضح هذا الأمر أكثر إن كان التوسيع الدلالي كبير، فإذا نظرنا إلى اللغة العبرية نجد أن كلمة מַלְאָךְ (مَلَك) بمعنى رسول بشري أو غير بشري كما هو متوقع، وذلك من الجذر **ל-א-ך** (ل أ ك)، لكننا نجد أيضا في العهد القديم (ومن نفس الجذر) الاسم **מלאכה** (ملاكا) بمعنى "الشغل work"، أو "المهنة occupation"، أو "المهارة craftsmanship "، وهذا الاسم قد تكرر في العهد القديم 166 مرة. لكن ما علاقة فعل الرسالة (الفعل لأك send) بالاسم work؟ هنا النقطة الجوهرية، إذ أن الارتباط بينهما يأتي من فكرة الذراع المرسلة (الممدودة)، mis'lah yad، أي "عمل الأيدي work of hands"[28]. بعبارة أخرى **الاسمان المشتقان في العبرية من الجذر "لأك" أحدهما "بسيط" بساطة الفعل، أي بمعنى رسول، والآخر يضيف دلالة أخرى تدور حول استعمال اليد بتمكن.**

ونفس الحال مع اللغة الأكادية، إذ أن الاسم المشتق في هذه اللغة الذي هو بمعنى رسول mar-Šipri متعلق بالاسم المشتق الآخر šipru "الذي يحمل المعنى المزدوج (الرسالة) و(العمل)"[29]بنفس الطريقة العبرية.

لا تختلف العربية عن ذلك بل الأمر فيها في غاية الوضوح. فهناك دافع طبيعي لتخفيف الاسم "ملأك" (بخلاف كلمة "مأثم" أو غيرها من الأمثلة التي ذكرها الفخر الرازي) وإكسابه المعنى المزودج، وهذا الدافع هو أن الجذر "ملك يملك" الذي يدور حول القدرة والتسلط والامتلاك، أو **عمل الأيدي: مِلك اليمين** (تذكر الحالة العبرية) أيضا اسمه المشتق "المَلِك"، ومن ثم طابق العرب بسهولة بين المَلِك الأرضي والمَلَك السماوي دلاليًا، حتى حركة اللام غير مهمة، فقد يستعمل أحدهما للآخر كما رأينا في آية "إلا أن تكونا ملكين" الدالة على المُلْك بلا شك. بعبارة أخرى **الاسم المشتق من "لأك" والاسم المشتق من "مَلِك" أصبحا نقطة التقاء واحدة للجذرين، لذلك يُجمع المَلَك بالملائكة نظرًا لأصله "لأك"، ويُستعمل بمعنى المَلِك (ويحل أحدهما مكان الآخر) نظرا لتطابقه صوتيًا وشكليًا مع الجذر "ملك يملك".** وهذا قد تجلى تمامًا في البيت المذكور أعلاه " غدا مالك يبغي نسائي"، فقد عبر الشاعر

---

[27] Gregorio Del Olmo Lete and Joaquín Sanmartín, A Dictionary of the Ugaritic Language in the Alphabetic Tradition Third Revised Edition, Translated and Edited by Watson, Wilfred G. E.. Leiden: Brill, 2015, V1. P. 540

[28] Freedman-Willoughby and Fabry, The Theological Dictionary of the Old Testament, p. 326

[29] المرجع السابق، ص310

عن مَلَك الموت بـ مالك، سواء بفتح اللام أو بكسرها، "بلحاظ" التملك والتسلط، وهو ما رفضه ابن جني صراحة وابن سيده، لأنهما افترضا أن هذا يعني بالضرورة رفض الجذر "لأك" أو "ألك"، والواقع أن كلمة "مالك"، سواء بفتح اللام أو كسرها، هي مألك في نفس الوقت، لأنها الصورة الاسمية المركبة.

وبناء على ذلك:

- بإمكاننا أن نجيب عن ندرة كلمة "ملأك" بمعنى رسول في الشعر المحتج به، لأن الكلمة اكتسبت توسيعًا دلاليًا فأصبحت أكبر من مجرد الرسالة، فالأسهل والأدق أن يستعمل الشاعر الكلمة العربية الشائعة المحايدة "رسول" وليس ملأك مزدوجة المعنى. وبالطبع له الحق أن يستعمل كلمة ملأك بمعنى رسول اعتمادًا على فهم السامع من السياق، لكن هذا نادر كما رأينا.

- وأن نقول إن "الملائكة" عند العرب وفي الاستعمال القرآني اسم وظيفي وليس اسم جنس كما زعم "بيرج"، **فقد قرأ آيات الملائكة من منظورنا المعاصر كمسلمين وكتابيين بشكل عام، الذي يحدد الملائكة كصنف مستقل، ومن طبيعتهم كذا وكذا، وليس من منظور العرب الأوائل**، فالعرب قبل الإسلام كانت:

(أ) لا تعرف عن **طبيعة** الملائكة إلا ما يسمعونه عرضًا من أهل الكتاب بما لا يسمح بتغيير دلالي، وعامة الناس في ذلك الوقت كانوا لا يعرفون عن طبيعة الملائكة إلا أنها كائنات غير مرئية، وهذا بالطبع يعني أنهم لا يفصلون فصلًا حادًّا بين الملائكة والجن، وقد لاحظ ذلك الشيخ محمد عبده عندما أشار إلى أن القرآن (وبالتالي المخاطبين) لا يفصل فصلًا جوهريًّا يميز بين الملائكة والجن، "وإنما هو اختلاف أصناف عندما تختلف أوصاف، كما ترشد إليه الآيات. فالظاهر أن الجن صنف من الملائكة، وقد أطلق في القرآن لفظ الجنة على الملائكة على رأي جمهور المفسرين في قوله - تعالى -: (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبًا) (الصافات: 158) وعلى الشياطين في آخر سورة الناس"[30].

(ب) وتستخدم الملائكة بالمعنى الوظيفي الذي هو التسلط والمُلك، إذ أن العرب كانت تنظر للملائكة على أنهم مُلّاك للأمر أكثر من كونهم رسلًا (نُسي الأصل "لأك")، بل ساد معنى المُلْك والسلطة (بدون تحديد لطبيعة الملائكة). **وهذا النسيان للرسالية طبيعي متناسب مع شركهم** (ولا يلزم من ذلك أن العرب كانت ترى الملائكة مستقلة بالأمر عن الله، فالشرك أوسع من ذلك، لكن هذه مسألة كبيرة خارج

[30] محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990، 221/1

محل البحث). وقد عالج القرآن هذه المسألة معالجة بديعة بأن **ذكّر** المخاطبين بمعنى الرسالة و**أكّد** عليه، وليس بأن **يشرح** معنى الملائكة كما يدعي بيرج. ومن مظاهر هذا التأكيد أن المواضع التي تشير إلى قوة وتسلط الملائكة نجد فيها أن القرآن يصفهم بالرسل، فمثلًا، يقول تعالى: قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد. قَالُوا يَالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ [هود: 80، 81]. وقال تعالى: قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا [مريم: 18، 19]. والمراد هنا واضح: الملائكة رسل لله، والرسول **يمثل** مرسله فقط ولا يحل محله، وعندما يفعل شيئًا لا بد أن ينفعل البشر **بمرسله وخالقه** وليس بالرسول نفسه.

لكن هل من شواهد نصية تؤكد هذا المعنى الوظيفي؟ قد أوضحنا بمثال "إلا أن تكونا ملكين" هذا المعنى، لكن سأضيف هنا مثالين نصيين يؤكدانه:

المثال الأول: وهو قول الأعشى يصف نبي الله سليمان عليه السلام:

وسَخَّرَ من جِنّ الملائِك تسعةً ... قياماً لديه يعملون بلا أجرِ

ولأن بعد الإسلام قد تحددت طبيعة الملائكة نُسي المعنى الوظيفي العام الذي يشمل ملوك الأرض، لم يستطع علماء اللغة القدماء تفسير هذا التقييد "(جن) الملائك"، فمثلًا يقول ابن الأنباري: "أراد بالجن: الملائكة، وأضافِهم إليه لاختلاف اللفظتين"[31]. والتكلف واضح في هذا التفسير، والأقرب أن كلمة "جن" هنا لها إضافة، فهي تقييد للملائك، لأن الملائك لفظ عام عند العرب يشمل كل متسلط، وإن كان يستعمل أكثر مع السماويين، وقد استمر هذا المعنى الوظيفي لفترة ما في الإسلام، ومن الطبيعي أن نجد الصحابة يستعملونه على هذا النحو الوظيفي، إلى أن استقرت الملائكة كصنف سماوي محدد. لكن هل أي دليل نصي على ذلك؟ نعم، وهو التالي.

المثال الثاني: صح عن خالد بن معدان (ت 103 ه) أنه أرسل عن عمر بن الخطاب أنه "سمع رجلًا يقول: يا ذا القرنين فقال عمر رضي الله عنه: (اللهم غفرا، أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة؟)"[32]، وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مثل قول عمر لكن لم أقف عليه مسندًا. الفكرة أنه لا أحد من العرب كان ينظر لذي القرنين على أنه ملك سماوي، ولم يرد عن

[31] ابن الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، 322/2

[32] أخرجه الطبري في تفسيره 105/18، وكذلك أبو الشيخ الأصبهاني في "العظمة" وغيرهما.

أحد من الصحابة والتابعين ما يشير إلى أنه مَلَك نزل من السماء، فخلاف المسلمين (وغيرهم من أهل الملل) كان في تحديد الشخصية التاريخية البشرية. إذن الراجح أن المعنى الذي كان يقصده عمر بن الخطاب هو المُلْك والرسالة، أي المعنى الوظيفي المزدوج لكلمة الملائكة، الذي يدخل فيه ملوك الدنيا الصالحون.

وبهذا نعلم أن العربية كأخواتها من اللغات السامية تعتبر الملائكة اسمًا وظيفيًا، يشمل ملوك السماء والأرض، باعتبار أن المُلْك تمكن وتسلط، وليس اسمًا لجنس كما استقر بعد الإسلام، الذي أعاد للكلمة الملمح الرسالي، وحدد طبيعة الملائكة التي كانت العرب تجهلها. وبهذا نعلم أيضًا أن البحث في الجذر السامي لا يمكن تجاوزه، والاكتفاء بكيفية استخدام القرآن، لأن هذا الجذر هو الذي يمكّننا من فهم الاستخدام القرآني.

6- تطبيقات

هناك تطبيقات عديدة على التحرير السابق، لكن سأكتفي بمثالين نموذجيين فقط:

(1) - إبليس من الملائكة بأي معنى؟

يقول الله تعالى في كتابه: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) [الكهف: 50]، وقد اختلف المفسرون في فهم "ملائكية" إبليس، وبالتالي نوع الاستثناء هنا، هل متصل أم منقطع. فجزم الحسن البصري مثلا بعدم ملائكيته فقال: "ما كان إبليس من الملائكة طرفة عين قط، وإنه لأصل الجن، كما أن آدم عليه السلام أصل الإنس"[33]، ويؤيد ذلك أن الفاء "ففسق" يبدو أنها تعليلية، وكثيرًا ما يعلل الوحي مآل الكائن بالاستناد إلى طبيعته، لكن هذا القول لا يعلل لِمَ كان على إبليس أن يسجد إذا كان الأمر للملائكة فقط. في المقابل، ورد عن ابن عباس وغيره من المتقدمين أن إبليس من الملائكة، وإلا ما معنى أن يُؤمر بالسجود معهم، وهي حجة قوية، وأصحاب هذا الرأي يستند أيضًا إلى بعض الإسرائيليات، فيقول إن إبليس كان من أشراف الملائكة، أو أنه كان من خزنة الجنة، أو أنه قد أسرته الملائكة بعد حربهم مع الجن، وغير ذلك، وبالتالي لا يُشكل على هذا الرأي اختلاف الطبيعة بين الملائكة والجن كما حدد الإسلام. وما نقدمه في ضوء بحثنا هو أن المراد بالملائكة هنا المعنى الوظيفي، أي المُلك

[33] الطبري، التفسير، 41/18

والتسلط وتدبير أمر الله، فليست الملائكة هنا اسم فئوي، لذلك شمل هذا الاسم إبليس رغم اختلاف طبيعته النارية عن الملائكة.

(2) - ترجمة إنجليزية مقترحة لكلمة ملكين:

تترجم كلمة "ملكين" بـ angels في قول الله تعالى (إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين) على النحو التالي: (lest you should become angels or such beings as live for ever)، وفي ضوء بحثنا نقترح أن المعنى المقصود هو المُلْك، وبالتالي فالكلمة الأدق في نظرنا التي تعبر عن الاستخدام العربي (الوظيفي) هو kings، وليس angels التي تُستخدم الآن بمعنى كائن سماوي محدَّد الطبيعة.

المراجع العربية:

- إبراهيم أنيس، ملك ملاك ملائكة، مجلة مجمع اللغة العربية، ج31، مارس 1973م.

- ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة.

- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 2000م.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر-بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

- أبو بكر الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، مؤسسة الرسالة، تحقيق: حاتم صالح الضامن، الطبعة الأولى، 1992م.

- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر بيروت، 1420هـ.

- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دار القلم-الشامية، دمشق-بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

- الرضي، نجم الدين، شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية بيروت، 1975م.

- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ.

- عبد الفتاح الحموز، ظاهرة القلب المكاني في العربية؛ عللها وأدلتها وتفسيراتها وأنواعها، نشر جامعة مؤتة، دائرة العلوم الإنسانية، 1981م.

- فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.

- فوزي الشايب، خواطر وآراء صرفية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية، ع47، السنة الثامنة عشر، 1994م.

- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

المراجع الإنجليزية:

- Freedman-Willoughby and Fabry, art. 'mal'ak' in The Theological Dictionary of the Old Testament (12 vols. Cambridge: William B. Eerdmanns Publishing Company), (1997), vol. 8.

- Gregorio Del Olmo Lete and Joaquín Sanmartín, A Dictionary of the Ugaritic Language in the Alphabetic Tradition Third Revised Edition, Translated and Edited by Watson, Wilfred G. E.. Leiden: Brill, (2015), V1.

- Paul Boneschi, 'Is malak an Arabic word?', Journal of the American Oriental Society 65 (1945), pp. 107–11.

- S.R. Burge, The Angels in Sūrat al-Malāʾika: Exegeses of Q. 35:1, Journal of Qur'anic Studies, 10/1 (2008), pp. 50–70.